جامعة مولود معمري–تيزي وزو

مخبر الممارسات اللغوية



مجلة

الممارسات اللغوية

العدد التاسع (09)

2012

ترجمة القرآن الكريم وإشكالية اللغة

الدكتورة: نجية رحماني
جامعة المسيلة

مقدمة: بالرغم من أهمية موضوع ترجمة القرآن إلا أن حذرا شديدا ظل يكتنف الخوض في هذه المسألة، فبقيت زمنا طويلا تحت الظل، قد يعود ذلك إلى الموقف الشرعي الذي لم يحسم أمره قديما وحديثا، لكن الصراع بين أنصار ترجمة القرآن ومعارضيها لم يحل دون ظهور تراجم عديدة للقرآن من قبل المسلمين و غير المسلمين من المستشرقين وغيرهم الذين لم تسلم تراجمهم من أخطاء فادحة، وتحريف لمعاني القرآن عن غير قصد أو عن قصد لأهداف خاصة بهم.

ولا شك أن مواجهة كل ذلك لا يكون إلا بترجمات صحيحة من قبل المسلمين تكون غايتها إيصال معاني القرآن لغير الناطقين باللغة العربية مسلمين أو غير مسلمين من باب عالمية هذه الرسالة، ومن ثم محاصرة حملات التشويه والتحريف التي يتعرض لها القرآن عبر تلك الترجمات، إلا أن الترجمات الإسلامية كانت ولا زالت تواجه تحديات مختلفة وعلى رأس تلك التحديات المشاكل اللغوية والمرتبطة أساسا بخصوصيات اللغة العربية كوعاء للقرآن وخصوصيات اللغة القرآنية تحديدا التي تحدى الله بها العرب والعجم، وفي ظل هذه العقبات يبقى التساؤل عن إمكانية ترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى؟.

هذه الدراسة محاولة للكشف عن طبيعة المشاكل اللغوية التي تعترض المترجم وأثر ذلك على الأخطاء التي تعاني منها تراجم القرآن.

المبحث الأول: تعريف الترجمة وأنواعها:

المطلب الأول: تعريف الترجمة

أولا: الترجمة لغة تعني التبيين والتوضيح، وعلى هذا الأساس يسمى عبد الله بن عباس رضي الله عنه ترجمان القرآن، وذلك لبراعته وقدرته على فهم الكتاب الحكيم.

وتعني أيضا تبليغ الكلام لمن لم يبلغه

وتعني أيضا التعبير عن الكلام بلغة أخرى، قال الرازي: «وترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر، ومنه الترجمان وجمعه تراجم...»[1]، وقال ابن منظور «الترجمان بالضم والفتح، هو الذي يترجم الكلام؛ أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى، والجمع التراجم...وقد ترجمه وترجم عنه»[2].

وقد توسعوا في معناها حتى أطلقوها على كل ما فيه بيان، فقيل ترجم لفلان أي بين تاريخه، وترجم لهذا الباب بكذا أي عنون له وهكذا

ثانيا: **الترجمة في عرف التخاطب العام**: خص العرف الترجمة بالمعنى اللغوي الأخير، وهو نقل الكلام من لغة إلى أخرى فقيل: هي التعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى، مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده.[3]

المطلب الثاني: أنواع الترجمة:

تنقسم الترجمة إلى قسمين؛ ترجمة حرفية وترجمة معنوية أو تفسيرية

أولا: الترجمة الحرفية هي نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى مع مراعاة الموافقة في النظم والترتيب، والمحافظة على جميع معاني النص المترجم.

ثانيا: الترجمة المعنوية: هي شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى بدون مراعاة لنظم الأصل وترتيبه، وبدون المحافظة على جميع معانيه المرادة منه.

وإلى هذين القسمين يمكن إرجاع جميع أنواع الترجمات التي صار الباحثون المعاصرون يميزونها اليوم من مثل: الترجمة الكاملة (full or total translation) وهي التي تراعي جميع الجوانب والمستويات اللغوية من المنقول

منها والمنقول إليها. والترجمة الجزئية (partial translation) وهي التي تستجيب لجانب أو مستوى دون آخر. والترجمة النصية (text-bound translation) وهي التي تراعي محتوى النص المنقول وليس معنى ذلك أن تكون حرفية. والترجمة السياقية (contexual translation) وهي التي يتصرف صاحبها في نقل المادة بمرونة تناسب البيئة اللفظية والبيئة الدلالية المقيدة لعملية النقل.[4]

المطلب الثالث: الترجمة الحرفية والتفسيرية للقرآن

أولا: الترجمة الحرفية للقرآن:

بالنسبة للقرآن الكريم فإن الترجمة الحرفية حسب الدكتور محمد حسين الذهبي إما أن تكون ترجمة بالمثل، وإما أن تكون ترجمة بغير المثل ومعنى الترجمة الحرفية بالمثل؛ أن يترجم القرآن بلغة أخرى تحاكيه في المفردات والأسلوب وجميع خواص اللغة حتى تتحمل الترجمة كل ما تحمله النظم الأصلي للقرآن من المعاني المقيدة بكيفياتها البلاغية وأحكامها التشريعية، وهذا النوع غير ممكن بالنسبة للقرآن الكريم لأنه يخل بمقصديه الأساسين وهما قضية الإعجاز البياني كدليل قاطع على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، حيث أن هذه الترجمة تفقده خواصه البلاغية. والمقصد الثاني كونه كتاب هداية وإرشاد للناس، وهذا يستفاد من معانيه الأصلية والثانوية التي تعجز الترجمة الحرفية عن تحصيلها[5].

وأما الترجمة الحرفية بغير المثل فمعناها أن يترجم القرآن حذوا بحذو بقدر طاقة المترجم وما تسعه لغته. يرى محمد حسين الذهبي أنها أمر ممكن بالنسبة لكلام البشر لكن لا يجوز بالنسبة لكتاب الله لأنها تؤدي إلى إهدار نظم القرآن والإخلال بمعناه وانتهاكا لحرمته.[6]

والملاحظ أن الترجمة الحرفية بنوعيها غير ممكنة بالنسبة للقرآن وتؤدي إلى نفس النتائج، ومع ذلك لجأ الكاتب إلى هذا التقسيم الذي لا يعني القرآن

في شيء، وهو إن يفترض صحة الترجمة الحرفية بغير المثل بالنسبة لكلام البشر فهذه الفرضية ليست على إطلاقها خصوصا عندما نكون بصدد نصوص أدبية من إنتاج بشري.

ثانيا: الترجمة التفسيرية للقرآن: إن الترجمة التفسيرية للقرآن بالمعنى الذي تقدم ليست سوى تفسير للقرآن الكريم بلغة غير لغته التي نزل بها، وهذا ما استدعى القول بجواز ترجمة القرآن عند كثير من العلماء، بل إن هناك من قاس[7] حكم مسألة ترجمة معاني القرآن على اتفاق المسلمين على جواز تفسيره لمن توفرت فيه شروط التفسير فجعلها داخلة تحت هذا الإجماع، لأن عبارة الترجمة التفسيرية محاذية لعبارة التفسير، لا لعبارة الأصل القرآني.

ولا أعتقد أن هذا القياس صحيح بحيث تصبح ترجمة القرآن مجمعاً على جوازها، لأن الواقع اثبت أن علماء الشريعة قديما وحديثا أغلبهم منع ترجمة معاني القرآن ولم يعدموا الأدلة لإثبات صحة رأيهم، حتى وإن حاول أنصار الترجمة دحض تلك الأدلة وإثبات العكس كما فعل محمد فريد وجدي الذي بذل جهدا كبيرا من أجل إثبات مشروعية ترجمة القرآن بالأدلة والبراهين العلمية وفي نفس السياق الرد على أدلة المانعين بما في ذلك ادعاؤهم إجماع الأئمة والعلماء على تحريم ترجمة معاني القرآن محاولا الارتقاء بالمسألة إلى درجة المختلف فيه.[8]

وفعلا فقد وجد من القدامى من أجاز ترجمة معاني القرآن أمثال الإمام أبي حنيفة النعمان وابن حجر العسقلاني وإبراهيم بن موسى الشاطبي وابن تيمية وغيرهم وفي المقابل هناك الكثير ممن حرّم ذلك، ولا زلا الخلاف في عصرنا قائما. بين من يراه جائزاً لأنه ضرب من التفسير، فضلا عن ضرورته ومدى الحاجة إليه، وبين من يمنعه ويحرمه أمثال محمد رشيد رضا وغيره.[9]

ويبدو أن الاتجاه الغالب في عصرنا مع ترجمة القرآن حتى وإن كان ذلك بشروط تضبط عملية الترجمة كي لا تخرج عن أهدافها أو تؤدي إلى نقيض ذلك في ضوء التحديات المختلفة التي تواجه ترجمة القرآن.

ثالثا: شروط الترجمة التفسيرية: يأتي على رأس تلك الشروط ضرورة التمييز بين المعاني الأصلية والمعاني الثانوية للقرآن الكريم.والمعاني الأصلية بالنسبة للقرآن هي ما تفيده الآيات المفصلة من الأوامر والنواهي والأحكام والقصص وغيرها، وله معانٍ ثانوية هي التي دلّ عليها نظمه العربي المعجز.[10]

من الذين أثاروا هذا التقسيم لمعاني اللغة العربية العلامة إبراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي(ت790ه) ومن خلال ذلك استطاع أن يصل إلى موقف متوازن من مسألة ترجمة القرآن، حيث ميّز بين مستويين من المعاني في أي لغة من اللغات فيما أطلق عليه الدلالة الأصلية والدلالة التابعة. المستوى الأول تشترك فيه كافة اللغات، وهذا النوع لا إشكال في ترجمته من لغة إلى أخرى، أما المستوى الثاني فهو مما تختص به كل لغة، وللعربية خصوصياتها أيضا ومن هذا الوجه لا يمكن أن يترجم الكلام العربي إلى غيره من اللغات فضلا عن أن يترجم القرآن وينقل إلى لسان غيره.[11]

ومن خلال هذا التقسيم لمستوى المعنى في العربية يوجه الشاطبي موقف الرافضين لترجمة القرآن بأن ذلك يصدق على الوجه الثاني [الدلالة التابعة أو الثانوية] «فأما على الوجه الأول [الدلالة الأصلية] فهو ممكن ومن جهته صح تفسير القرآن، وبيان معناه للعامة ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه وكان ذلك جائزا باتفاق أهل الإسلام فصار هذا الاتفاق حجة على صحة الترجمة على المعنى الأصلي»[12].

ونلاحظ هنا كيف أن الإمام الشاطبي قاس حكم ترجمة القرآن على تفسيره، فالترجمة عنده هي ضرب من التفسير الذي لا ينكر أحد مشروعيته

وكأن المترجم يقوم بتفسير معاني القرآن ولكن بلغة أخرى غير العربية لكن متى كان ذلك على مستوى المعاني الأصلية.

وانطلاقا من هذا الشرط الأساسي أضافوا شروطا فرعية هي:

1. لا تترجم المعاني الأصلية للقرآن كله أو لجزء كبير منه متتالياً بل يقتصر على الآيات واضحة المعنى، بحيث إذا نقل معناها الأصلي إلى لغة أجنبية تساوى كلام المفسر العربي والناقل له إلى اللغة الأجنبية في أداء المعنى الأصلي كآية «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم»[13] وهي الآية التي افتتح بها النبي (صلى الله عليه وسلم) رسالته إلى قيصر وكسرى في الدعوة إلى الإسلام، وهما لا يعرفان العربية إنما يتلقيان معناها عن طريق الترجمة.[14]

2. اعتبار كون الترجمة التفسيرية لا تهدف إلى محاكاة النص الأصلي للقرآن الكريم بقدر ما هي تصوير للمعاني المقصودة، وذلك بأن يحاول المترجم فهم النص في ضوء أصول التفسير وقواعده.

3. أن يقف المترجم على أسرار لغة القرآن ويستوعب خصائصه وأساليبها في البيان.

4. إذا كانت الألفاظ القرآنية مشتركة أو متعددة المعاني وجب على المترجم اختيار المعنى الأكثر شهرة وتداولا بين المفسرين، مع الإشارة إلى باقي المعاني حتى لا يظن أنه المعنى الوحيد لذلك اللفظ.

5. يشترط في المترجم إتقان اللغة العربية واللغة المنقول إليها، كما يشترط فيه التمكن من علم التفسير وقواعده.

6. لا بد من فهم المترجم للقراءات القرآنية المتواترة وما يترتب عنها من اختلاف المعنى وتعدده، كما يجب عليه استبيان الانسجام والتسلسل وانتظام الآيات بشكل دقيق وبديع، ثم محاولة التعبير عن كل ذلك بترجمة هادفة.

7. على المترجم أن يلحق ترجمته لمعاني القرآن بإيضاحات وبيانات بالهامش كذكر بعض أسباب النزول المرتبطة بالآية، وتوضيح الناسخ والمنسوخ وبيان الأحكام الفقهية الأساسية بإيجاز وبعيدا عن الخلافات الفقهية.

8. يجب أن تكون اللغة المنقول إليها سلسة وعذبة وميسرا فهمها للجميع دون تعقيد أو تشدق حتى يسهل فهم الترجمة واستيعاب المعنى[15]

المبحث الثاني: **عقبات لغوية في طريق ترجمة القرآن**

منذ أواخر القرن الماضي (ق20) اتبعت طريقتان في ترجمة القرآن من قبل المستشرقين والمسلمين هما: الترجمة الحرفية والترجمة التفسيرية أو المعنوية وقد تبين أن النوع الأول مستحيلٌ بسبب العائق اللغوي وهذا ما اعترف به كل الباحثين في هذا الموضوع وعلى رأسهم الممارسين لعملية الترجمة من العرب وغيرهم، فبعد ظهور عشرات الترجمات بمختلف اللغات تبين قطعا كون الترجمة الحرفية متعذرة بل ومستحيلة أيضا نظرا لما تتمتع به اللغة العربية من خصوصيات لا نجدها في لغات أخرى على مستوى المفردات والأسلوب والتراكيب، كما أن الترجمة التفسيرية هي الأخرى لم تنج من هذا الإشكال في هذا المبحث سنقف على بعض العقبات اللغوية التي تعاني منها تراجم القرآن

المطلب الأول: على مستوى المفردات

لعل من أهم المشكلات التي تواجه المترجم أن تستطيع ترجمته نقل المعنى الكامل للمفردة القرآنية وهو الأمر الذي يكاد يكون مستحيلا على رأي الكثير وذلك للأسباب التالية:

(أ) تختلف الدلالة في الألفاظ إذ ليس هناك مطابقة تامة بين مدلول ألفاظ اللغة العربية وما يقابلها في اللغات الأخرى، فمثلا كلمة أخ في اللغة العربية تدل على الأخ في النسب والأخ في الدين، ومنه قوله تعالى: «**فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان**»[16] حيث تترجم كلمة أخيه ب " SON FRERE" التي لا تدل على معنى الأخ في الدّين، كما أن كلمة "UNCLE"

في اللغة الأنجليزية تعطي معنى لفظتين في اللغة العربية هما الخال والعم، وكلمة بقرة عند الهندي توحي بشعور قدسي إضافي تخلو منه نظائرها في اللغات الأخرى.[17]

يوجد في اللغة العربية أفعال ليس لها نظائر في لغات أخرى كالإنجليزية مثلا، مثل الأفعال: **أمات، طغى، منّ، أبطل، أسرف، استوى، صدق، بخل** وهنا يضطر المترجم إلى إضافة فعل آخر للدلالة على المعنى المراد وعلى هذا يترجم فعل "يبخل" بإضافة فعل يسبقه (is niggardly)، ويترجم فعل "صدق" ب (is truthful) وهكذا بالنسبة لبقية الأفعال بحيث تترجم بأفعال إضافية لا تستوفي المدلول الحقيقي للكلمة العربية، فهناك فرق واضح بين قولك "صدق فلان" وقولك: "فلان صادق"[18].

(ب) الألفاظ المشتركة تعتبر واحدة من مشكلات ترجمة النص القرآني مثل كلمة "القرء" التي تعني في اللغة الحيض والطهر معا الأمر الذي أدى إلى اختلاف الفقهاء في بيان المقصود به في الآية الكريمة: «**والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**»[19]، وبالتالي اختلافهم في حكم المطلقة هل تعتد بثلاث حيضات أم ثلاثة أطهار[20]؟

أما المترجمون فمنهم من ترجم القروء بالحيضات كما فعل جاك بيرك مهملا المعنى الآخر، ومنهم من ترجمها بالدورات،ويبدو أنه من المتعذر ترجمة لفظ ذي دلالة مشتركة بلفظ مقابل في لغة أخرى وحل هذا الإشكال على رأي البعض[21] لا يكون إلاّ بالتفسير والتوضيح المرافقين للترجمة وذلك من اجل أن تتضح للقارئ كل المعاني المحتملة.

لكن المشكلة تزداد تعقيدا عندما تكون اللفظة القرآنية ذات معان كثيرة مثل كلمة "الهدى" التي جاءت في القرآن على سبعة عشر وجها كما هو مذكور في كتب الأشباه والنظائر في القرآن، الأمر الذي يتطلب حذرا شديدا

ودقة متناهية في الكشف عن المعنى المراد، وهذا ما لم ينتبه إليه جل المترجمين الذين راحوا يطلقون نفس المرادف لكل المواقع التي يرد فيها اللفظ.[22]

(ج) من الألفاظ والصيغ التي لا تقبل التحديد الدلالي، ولا تخضع للقول الفصل ما يسمى "**المتشابه**" بدليل كثرة الآراء حوله وتشعبها وتشابكها بين علماء التفسير والشريعة عموما مما يدل على الغموض الذي يكتنفها حتى اختار بعضهم الصمت حيالها والتوقف عندها، نظرا لصعوبة القطع بالمراد منها لتعلقها بذات الله وصفاته العليا، وخروجها عن طور العقل البشري.[23]

(د) مشكلة المفردات القرآنية التي ليس لها معان في اللغات الأخرى، ومن أمثلة تلك المفردات التي لا يمكن أن تؤدي الترجمة معناها:

1- مفردة اسم الجلالة "الله" فهو في المفهوم الإسلامي يتصف بالكمال المطلق والتنزه عن كل نقص (ليس كمثله شيء). أ ما المفاهيم الغربية فتجسد الإله بصورة بشرية خارقة ولكل إله وظائفه الخاصة به، وقد انعكس ذلك على تعابيرهم اليومية فهناك مثلا "DIEU"ومشتقاتها ولكل منها دلالة لا تتنزه عن فعل الإنسان، ولذلك لا يمكن استبدال اسم الجلالة بهذه المفردات أبدا.

2- القلب، ومعناه الفزيولوجي أنه كمضخة للدم، أما مفهوم القلب القرآني فيختلف تماما، بدليل انه لو أمكنا طبيا استبدال هذه المضخة بأخرى بلاستكية فلن تتغير لدى الإنسان أموره القلبية مثل الإيمان الحب، البغض.

3- الموت والوفاة: قال الله تعالى: «الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمّى»[24]، فالوفاة غير الموت لأن كل نائم متوفى، وليس بالضرورة ميتا لأن الذي أخذ منه ليس الروح وإنما الإرادة فقط، وبالتالي فالنائم لا يحاسب، وهذا المفهوم غير موجود أصلا في الفكر الغربي، ولذلك أخطأوا في ترجمة الآية التي اخبرنا الله عن عيسى بن مريم أنه توفاه ورفعه إليه: «إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ»[25]. فجعلوا عيسى ميتا لأنه ليس في اللغات الأخرى مفهوم

الوفاة الذي في القرآن، والمعنى الصحيح للآية، أنه أخذ منه الإرادة ورفع جسده وبهذا لم يمت.

كانت هذه بعض النماذج لمفردات قرآنية ليس لها معان في لغات أخرى وإلا فالأمثلة كثيرة منها مفاهيم الرحمن، الرحيم، القدوس، القدس، الرب الغيب، العبودية مما أدى إلى وقوع التراجم في الخلط بين بعض المفاهيم أمثال الرسول والحواري، كما خلطوا بين القلب والفؤاد، واللب والنهى، كما وقعوا في الخلط بين أسماء العلم والمعاني لهذه الأسماء.

ويبدو أن هذا النوع من المفردات من الكثرة بحيث شكلت عقبة كأداء لم يمكن تجاوزها مما أدى إلى ظهور ترجمات سطحية ومتعارضة ولا تؤدي المعنى الدقيق، وبالتالي الوقوع فيما نهى الله عنه من أي إضافة أو إنقاص أو تحريف للقرآن. ولم يملك الباحثون في هذه القضية أمثال علي عبدو الإبراهيم سوى التسليم باستحالة ترجمة القرآن انطلاقا من أن لكل حضارة مفرداتها التي تميزها، وأن القرآن يحتوي على لمحات في كل التخصصات بدقة متناهية يحتاج إلى تخصصات معمقة جدا لتتناسب مع دقة اللغة القرآنية كما أن المفاهيم الشرعية مثل الصلاة والحج والجهاد لا يوجد لها مقابل بذات المفهوم باللغات الأخرى.[26]

وفيما يخص المفردات والعبارات التي لا يوجد ما يقابلها في لغات أخرى لجا بعض المترجمين إلى تقنية استخدام رموز صوتية في رسم ترجمة المواد رسما تلفظيا وذلك حتى لا يعتقد القارئ من غير المسلمين أن الشعائر الموصوفة شبيهة بالتي يمارسها في ديانته فمثلا كلمة صلاة يرسمها تلفظيا (Salat) وحج (Hagg) وقبلة (qibla) وفدية (Fidya) وهكذا.[27]

كما أن بعض المترجمين قد يدرج الرسم التلفظي داخل النص دون ترجمة وذلك عندما يتعلق الأمر بحالات نادرة تخص البيئة العربية مثل كلمة بحيرة

وسائبة ووصيلة وحام في الآية: «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام»[28]، حيث تُرجمت:

Gott hat weder eine Bahira eine Sa`iba noch eine Wasila noch einen Hami[29]

المطلب الثاني: على مستوى النحو والتركيب

(أ) تختلف روابط المفردات والجمل بين اللغة العربية وغيرها من اللغات كما تختلف الضمائر الظاهرة والمستترة، فمثلا لا نجد في الفرنسية ضمير المخاطب "أنتما" الذي يدل على المثنى بل نجد الضمير "VOUS" وهو يدل على المثنى والجمع معا مذكرا أو مؤنثا، ويمكن التمثيل هنا بالآية الكريمة: «إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم»[30] حيث خصصت الآية المثنى بالذكر لكن هذا التخصيص لا أثر له في الترجمات الحرفية التي قام بها معظم المستشرقين، مثل جاك بيرك الذي ترجم الآية بقوله: « LES CROYANTS SONT QUE DES FRERES,DONC RÉCONCILIEZ VOS FRERE»[31]

(ب) الإعراب أيضا من أهم خصائص اللغة العربية، وهي الميزة التي تكاد تختص بها اللغة العربية، بحيث أن علامات الإعراب تكشف عن المعنى أينما كان موقع الكلمة في الجملة مما يعطي المرونة لأسلوب التقديم والتأخير بحيث لا يحصل أي لبس فضلا عن الأغراض البلاغية التي يحققها، مثل غرض الاختصاص الذي يحصل من تقديم المفعول على الفاعل كما في قوله تعالى: «**وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه**»[32]، وقوله تعالى: «ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لإن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين »[33].

ترجمتها دنيس ماصو بقولها[34]:

«Bien au contraire, adore Dieu et soin de ceux qui sont reconlaissants»

وترجمها جاك بيرك بقوله[35]:

«Que non pas ! adore donc Dieu et sois entre tous reconnaissants»

والملاحظ هنا كيف عجزت هذه التراجم عن نقل غرض الاختصاص الموجود في النص القرآني بسبب تقديم المفعول.

وإذا ما حاولت الترجمة مسايرة النص القرآني بتقديم المفعول وتأخير الفاعل فقد توجد حالات تقبل ذلك لكن يفقد أسلوب الحذف خواصه البلاغية فضلا عن الخلل والارتباك الذي يلحق المعنى مثل الآية: (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم)[36] فإن تقديم الفاعل في الترجمة قد يحدث ارتباكا بخصوص إعادة الضمير في "أولادهم"

Thus have their (so-called) partners (of Allah) made` the killing of their children to see; fair to many of the idlaters.

حيث يعود الضمير their على partrners ،أي "شركاء" لا على idlater أي "المشركين". أما الفرنسية فتحول المبني المعلوم إلى مبني للمجهول مع جملة اعتراضية

De meme, aux yeux de beaucoup d'assosiantes se pare, du fait de leurs associés, Berque le meutre de leurs enfants

إلا أن المقصود من التركيب هو: وكذلك زين شركاؤُ كثيرٍ من المشركين قتلَ أولادهم ليردوهم.[37]

المطلب الثالث: على مستوى الأسلوب

مما لا شك فيه أن لأسلوب القرآن خصائص ومميزات يجعل الترجمة الدقيقة التي تفي بجميع المقاصد القرآنية أمرا مستحيلا، وخير مثال على ذلك

المجاز الذي تميز به أسلوب القرآن، ولاشك أن الترجمة الحرفية التي تقتصر على الألفاظ غير صالحة إطلاقا عندما يحمل النص القرآني تعبيرا مجازيا، فمثلا قول تعالى: «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا»[38]، التعبير القرآني إنما هو من با ب التمثيل لبيان عاقبة الإسراف أو الشح وهو معنى من أروع المعاني لا يدركه إلا من فهم أساليب العرب في التخاطب بالأسلوب البليغ، أما الترجمة الحرفية لهذه الآية فتجعل المعنى فاسدا لم يقصده القرآن، بل قد يستنكر المترجم له هذا الوضع فيقول لماذا ينهانا الله عن ربط اليد بالعنق؟. وكذلك قوله تعالى: «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة» حيث لا يمكن الترجمة الحرفية لوجود نوع خاص من التعبير البليغ يسمى ب (الاستعارة المكنية).[39]

وهكذا بالنسبة لكل ضروب البلاغة وأوجهها في القرآن، مما يعتبر عائقا كبيرا أمام فهم الأجانب للقرآن، نتيجة الجهل ببلاغة اللغة العربية التي بلغ القرآن فيها ذروة الإعجاز في أسلوبه ونظمه.

وبهذا فمثل هذه الاختلافات اللغوية تؤدي إلى عجز الترجمة عن بلوغ المعنى الأصلي مما يفقدها قيمتها المعرفية، ويجعلها مشروعا لتحريف القرآن وتشويه الإسلام سواء كان ذلك عن غير قصد أو عن قصد كما هو حال بعض المستشرقين[40] الذين كانوا يفتتحون ترجمتهم للقرآن بالطعن فيه بأنه من تأليف محمد أعانه عليه قوم آخرون من معاصريه من اليهود والنصارى والحنفان، هذه النظرة السلبية بالإضافة إلى قصورهم اللغوي وخصوصية القرآن كل ذلك جعلهم يفقدون القرآن روعته ويسيئون إليه وذلك بشهادة واحد من المستشرقين وهو روم لاند الذي قال:«إننا لم نعرف إلى وقت قريب ترجمة جيدة استطاعت أن تتلقف من روح الوحي، والواقع أن كثيرا من المترجمين الأوائل لم يعجزوا عن الاحتفاظ بجمال الأصل فحسب بل كانوا إلى ذلك مفعمين بالحقد على الإسلام، إلى درجة جعلت ترجماتهم تنوء بالتحامل، ولكن حتى أفضل ترجمة

ممكنة للقرآن في شكل مكتوب لا تستطيع أن تحتفظ بإيقاع السور الموسيقي الآسر على الوجه الذي يرتلها به المسلم، ولا يستطيع العربي أن يدرك شيئا من روعة كلمات القرآن وقوتها إلا عندما يسمع مقاطع مرتلة بلغته الأصلية »[41]

خاتمة: إذا كان التساؤل حول مدى مشروعية الترجمة الأدبية مطروحا فلا غرابة أن يثار النقاش حول مدى مشروعية ترجمة القرآن من الناحيتين العلمية والدينية، لأن القرآن في وجه من وجوهه نص أدبي بل رائعة من روائع الأدب، فضلا عن كونه كلاماً إلهياً تحفه خصوصيات كثيرة.

وإذا كان أهل الاختصاص قد قرروا أن « مشروعية الترجمة تصبح ذات طابع إشكالي عندما نكون أمام النصوص الأدبية ذات الحمولة التخيلية المكثفة بينما يخف هذا الطابع الإشكالي حتما كلما اتجهنا نحو الخطاب التواصلي أو العلمي...»[42]، هذا يجعلنا نتفق مع الذين حصروا ترجمة القرآن في المعاني الأصلية دون المعاني التبعية وفي النصوص واضحة الدلالة التي يقل فيها التأويل، وبالتالي لا يمكن ترجمة القرآن كله أوجزء كبير متتالٍ منه.

بهذا يمكن تجاوز وتخطي كثير من العقبات اللغوية، ومع ذلك فإن ترجمة القرآن من العربية إلى لغة أخرى تعني الحصول على نص جديد في شكله قطعا أما محتواه فلا أعتقد أنه سيحيط بكل دلالات النص القرآني وبنفس الدرجة هذا إن سلم من الخطأ في الفهم والتفسير، ومهما يكن فإن هذا العمل لا يخلو من فائدة للإسلام والمسلمين خصوصا عندما يأتي ممن توفرت فيهم الكفاءة والأمانة. حتى وإن بدت هذه المهمة مستحيلة عند البعض أو كانت اختلاسا وانتهاكا لحرمة النص القرآني وتطاولا على القول الثقيل على رأي البعض الآخر. مما يجرنا إلى القول بأن المراجعة التأصيلية لهذه القضية لا بد منها حتى لا تبقى المسألة تحت ضغط الواقع وما تعم به البلوى.

الهوامش:

1- محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، مادة "رج م" (ط4؛ الجزائر: دار الهدى، 1995) ص159.

2- ابن منظور، **لسان العرب** (ط4؛ بيروت: دار صادر، 2005م)، ج1، ص426.

3 - محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن** (ط2؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ت)، ج2 ص414.

4 - محمد أبو طالب «ملاحظات حول ترجمة القرآن الكريم» **مجلة ترجمان العدد2** سنة1999م تصدر عن مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة. ص 11-12

5- محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، (مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية، 1224هـــ 2004م)، ص19، 21.

6- المرجع السابق، ص20.

7- المرجع السابق، ص22. والقياس في الاصطلاح الشرعي هو إعطاء المسألة التي لم يـــنص على حكمها حكم المنصوص عليها لاشتراكهما في علة الحكم. أو كما عرفه أبو حامـــد الغزالـــي "أنه حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما بأمر جامع بينهما من إثبات حكم أو صفة أو نفيهما عنهما". **المستصفى** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هــ_1996م)، ص280.

8- انظر فريد وجدي، الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القـــرآن (ط2؛ مـــصر: مطبعـــة الرغائب، 1936).

9- محمد صالح البنداق **المستشرقون وترجمة القرآن** الكريم (بيروت: دار الآفاق الجديدة) ص65 وما بعدها.

10- محمد الخضر حسين، **ترجمة القرآن**، مقال بمجلة لواء الإسلام على الموقع: www.aluka.net

11- إبراهيم بن موسى الشاطبي، **الموافقات** في أصول الشريعة، تحقيق أبو عبيدة مـــشهور بـــن حسن آل سلمان (ط1؛ مصر: دار ابن عفان، 1421هـــ)، ج2، ص105_106.

12- المرجع السابق.

13 - سورة آل عمران، الآية 64.

14 _ محمد الخضري ، مرجع سبق ذكره

15 _ حسن عزوزي، القرآن الكريم وإشكالية الترجمة، ص 28، 29

16- سورة البقرة: الآية178.

17- حسن عزوزي، **القرآن الكريم وإشكالية الترجمة (**ط1؛ المملكة المغربية: مطبعة آنفو 2001م**)**، 20-21.

18- عبد الله عباس الندوي، **ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغـــرب** (سلـــسلة كتاب دعوة الحق ، قطاع الإعلام والثقافة برابطة العالم الإسلامي، العدد174، ســـنة1417هــــ) ص20.

19 - سورة البقرة، الآية 228.

20- انظر محمد بن رشد القرطبي، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**(الجزائر :دار اشريفة)، ج2 ص88.

21- حسن عزوزي، مرجع سبق ذكره، ص24.

22- انظر المرجع السابق، ص 25-26.

23- انظر: محمد بلعسل، حديث الإعجاز والمتشابه **(**ط1؛ وجدة: مكتبة الطالب 1482هـ/2007**)**، ص167.

24 - سورة الزمر، الآية 42.

25 - سورة آل عمران، الآية55.

26- على عبدو الإبراهيم ، حوار معه نشرته جريدة الفداء السورية، يوم: الأربعاء 4 أفريل 2007،

27- أنظر: محمد ابو طالب «ملاحظات حول ترجمة القرآن الكريم» **مجلة ترجمان العدد الثاني/ أكتوبر1999**. مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة. ص15-16.

28- سورة المائدة، الآية 103.

29- محمد أبو طالب، مرجع سبق ذكره، ص17.

30- سورة الحجرات، الآية 10.

Jaeques Berque: Le coran, ed.çindbad paris 1991 P.561.- 31

32- سورة البقرة، الآية 124.

33 سورة الزمر، الآية 65.

34- D. Massan(m1995) Essai d'interprètation du coran animitable, revue par Sobhi ELsalah 1980, cit11/575.

Jaeques Berque: op cit p. 501. 35

36- سورة الأنعام، الآية 137.

37- محمد ابو طالب، مرجع سبق ذكره، ص 30-31.

38- سورة الإسراء، الآية29.

39- محمد علي الصابوني، **التبيان في علوم القرآن** (ط3؛ الجزائر: مكتبة رحاب، 1986)، ص207.

40 – انظر محمد صالح البنداق، **المستشرقون وترجمة القرآن** (بيروت: دار الافاق الجديدة) حيث عرض موقف المستشرقين من ترجمة القرآن وبين أساليبهم في تحريفه.وانظر أيضا: لعلي بن إبراهيم النملة، **المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية** (ط1؛ لبنان: بيسان 2010)، ص15 وما بعدها.

41– روم لاند، **الإسلام والعرب**. ترجمة منير البعلبكي(ط2؛ بيروت: دار العلم للملاين، 1962) ص37. نقلا عن كتاب: "المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية" لعلي بن إبراهيم النملة، ص34.

42– حميد الحمداني، "**الترجمة الأدبية ومدى مشروعيتها في ضوء البحث اللساني** وجـماليات **التلقي**" مقال في كتاب **الترجمة والتأويل**، (من منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، ط1، 1995)، ص101.